المدينة في شعر مَزْيَد الحِلِّي
دراسة نقدية

م.د. عبادي عبد العباس حمود الزيادي
الكلية التربوية المفتوحة/ النجف الأشرف

Al-Madina in the Poetry of Mizyad Al-Hilli
A Critical Study

Lect. Dr. Ibadi Abdul Abbas Hmood Al-Zayadi
The Open Educational College / Al-Najaf Al-Ashraf

Abstract

Arab poetry remains in general and in Iraq، especially an immortal travel of the books of the heritage of this glorious nation، as a result of the manifestations of the original Arab genius، and after I read the themes of the blessed symposium، which focused on the heritage of ancient ornaments I start to my imagination to study poet of Hilla forgotten most of the researchers The poetry and the introduction of the spectrum، and the excerpt of the journey and the late in some of his poems، inspired by the meanings of life at the time، referring to his adventures، and Madha Al The house of the Prophet (PBUH) in most of his poetry is very much mentioned in his method of jurisprudence or religious، which is characterized by Ismaili orientation، and is proud and proud of himself and his family and tribe; and a traitor in the arts of rhetoric such as grazing،، The poet Muzid al-Hali، one of the most prominent poets of the city of Hilla in the sixth century AH، which kept the virtual library in Damascus a copy of his manuscript، which was the number of papers (17) paper، and then achieved the Diwan by Dr. Tarim and printed and published by the House of Lights in Beirut In 1998 (9263) and the date of its registration on 9/12/1426 AH; for this reason، I chose a title for my research (the city in the poetry of the most precious jewelery). The research began with the introduction of the introduction to explain the methodology of research and its main themes and divisions that ended the search، and then came the first section to talk about the life of more and the themes of poetry main; and went the second section to see the impact of the city of Hilla in the poetry of more; More attention to Iraqi cities except Hilla and other cities in his poetry، w Concluded research findings of the researcher. God grants success.

المقدمة:

يبقى الشعر العربي عامة وفي العراق خاصة سفرا خالدا من أسفار تراث هذه الأمة المجيدة، نتيجة لِمَا حواه من مظاهر النبوغ العربي الأصيل، وبعد أنْ قرأتُ محاور الندوة المباركة التي ركزت على التراث الحلِّي العريق تبادر إلى مخيلتي أنْ أدرس شاعراً من الحلة نُسِيَّ من أغلب الباحثين ولم يلتفتوا إلى مضامين شعره التي تناولت تاريخ مدينة الحلة وما دار فيها آنذاك مضمناً شعره معظم الفنون الشعرية كالمقدمات الغزلية، والطللية، والخمرية، ومقدمة الطيف، وذاكراً الرحلة والراحلة في بعض أشعاره، مستلهما معاني الحياة آنذاك متطرقا إلى مغامراته الغزلية، ومادحاً آل بيت الرسول (ص) في أغلب أشعاره مسهباً كثيراً في ذكره منهجه الفقهي أو الديني الذي اتسم بالتوجه الاسماعيلي، وذاكراً ومفتخراً بنفسه وأهله وقبيلته ؛وخائضا في فنون البلاغة كالسجع والجناس والطباق والمقابلة، والتشبيه والاستعارة ؛وملتزماً ببناء القصيدة وسائراً على منهج عمود الشعر الذي صنفه المرزوقي، ألا وهو الشاعر مَزْيَد الحلِّي وهو أحد أبرز شعراء مدينة الحلّة في القرن السادس الهجري التي احتفظت المكتبة الظاهرية في دمشق بنسخة من مخطوطته التي كان عدد أوراقها (١٧) ورقة، ثم حُقق الديوان من قبل د. عارف تامر وقامت بطبعه ونشره دار الأضواء في بيروت سنة ١٩٩٨م؛ أما من حيث توفر طبعاته في العراق، فقد توفرت نسخة واحدة في مكتبة الروضة الحسينية المطهرة برقم (٩٢٦٣) وتاريخ تسجيلها في ٩/ ١٢/ ١٤٢٦ هجرية ؛ لذلك كلّه، اخترت عنواناً لبحثي (المدينة في شعر مَزْيَد الحلي. دراسة نقدية)، وقسمت البحث إلى المحاور الآتية فقد بدأ البحث بمقدمة شرحت فيها منهج البحث ومحاوره الرئيسة والتقسيمات التي انتهى إليها البحث، ومن ثَمَّ جاء المبحث الأول ليتحدث عن

حياة مزيد وموضوعات شعره الرئيسة ؛ وذهب المبحث الثاني ليرى أثر مدينة الحلة في شعر مزيد ؛ ثم انبرى المبحث الثالث ليدقق عن التفات مزيد لمدن عراقية سوى الحلة والمدن الأخرى في شعره، ثم اختتم البحث بالنتائج التي توصل إليها الباحث. والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: حياة مَزْيَد وموضوعات شعره

اسمه:

هو الأمير مَزْيَد بن علي بن دبيس بن منصور[١] وقيل مَزْيَد بن صفوان بن الحسن[٢] بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد بن مرثد بن زنجي بن ريان بن عدني ابن عذور وقيل ريان بن عذور بن عدي بن جلد بن حي بن عمرو بن أبي المظفار مالك بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن سعد بن سواءة بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣].

ذكر اسمه في شعره:

تنبه بعض الأدباء لديمومة حياتهم بعد الممات، وأخذوا في الحسبان تلاعب بعض المتلاعبين فيما يرد من أخبار تضلل القارئ بوقتٍ ليس للشاعر أو الأديب وجوداً في الحياة فينفي أو يثبت تلك المعلومة، وهذا ما ذهب إليه شاعرنا، مسجلاً اسمه في شعره، بقوله[٤]: (الكامل)

يَاْ لَاْئِمِيْ فِيْ حُبِّ آلَ مُحَمَّدٍ كَيْفَ المَلَاْمُ وَفَضْلُـــهُمْ مَوْجُوْدُ
أَيُعُوْدُ مَزْيَدُ وَيْكَ عمَّا قَاْلَهُ كَلاَّ وَلكِـــــنَّ هَلْ لِذَاْكَ مَزِيْدُ
قَوْمٌ هُمْ يَوْمَ المَعَاْدِ وَسِيْلَتِيْ إِذْ حُبُّهُمْ لِيْ طَاْرِفٌ وَتَلِيـــــدُ
أَيَعُدُّ مَزْيَدُ فَضْلَ آلَ مُحَمَّدٍ هَيْهَاْتَ أَنْ يَحْصِيَ التُّرَاْبُ عَدِيْدُ

فالشاعر في هذه الأبيات قد جسد حبه لآل بيت الرسول(ص)، ونفى أن يكون لأي شخص مقدره في أزاحته عمّا آمن به من وجوب حبهم وطاعتهم، وهنا جاء ذكر اسمه ليبقى شاهداً تأريخياً على نهجه وتوجهه الديني والمذهبي وهو المذهب الاسماعيلي.

وفي قصيدته الميمية التي تغنى بها بحب آل البيت، كما هو ديدنه دائماً في ذكر صفاتهم ومدحهم، تطرق لذكر اسمه؛ بقوله[٥]:

(المتقارب)

وَمَزْيَدُ يَرْجُوْ لِقَاْكُمْ غَداً بِيَوْمٍ يَكُوْنُ الوَرَىْ بِاْزْدِحَاْمِ

وبهذا يعدُّ الشاعر أنَّ لا قيمة لنفسه ولا قدر لها إلا بوقوف آل بيت الرسول معه وهم من ينقذه في يوم القيامة الذي كنّى عنه بيوم(الازدحام).وأيضا جاء ذكر اسمه إلى جانب تطرقه إلى أبيه وابنه، بقوله[٦]:

(السريع)

حَلَفْتُ بِاْلأَبِ وَالابْنِ مَـــــعاً ثَلَاْثَةٌ كُنَّا عَلَى مَوْعِـــــــدِ
إِنِّيْ لَأَشْتَاْقُكَ يَا سَيْـــــدِيْ كَالمَاءِ يَشْتَاْقُ إِلَيْهِ الصَّــدي
بَاْسَ يَدِيْ قُلْتُ لَهُ بُسْ فَمِـيْ إِنَّ فَمِيْ أَوْلَىْ بِهِ مِنْ يَــدِيْ
قَاْلَ مَنْ الجَائِرُ فِيْ حُكْمِـــهِ قُلْتُ الذِيْ جَارَ عَلَى مَزْيَـــدِ
قَاْلَ فَهَلْ تَعْشَقُ غَيــرِيْ إِذاً أَوْ تُورِدُ الظَّمْآنَ مِنْ مَـــوْرِدِي

(١)ديوان مزيد الحلي الأسدي: ٦.
(٢)الأعلام: الزركلي: (٧/ ٢١٢).
(٣)بغية الطلب: ابن العديم (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار: (٧/ ٣٤٧٨).
(٤) الديوان: ٩٨.
(٥)الديوان: ١١٤.
(٦) الديوان: ١١٠.

وهنا يعدُّ الشاعر ممن أكد ولاءه وحبه مدعماً بما يحيط به من أسرة كأبيه وابنه، متأثراً بما جرى عليه من تعسف ومطاردة أدت به إلى الرحيل عن مدينته الحلة إلى مدينة مصياف، فالحسرة والألم بارزة حتى في أشعاره الغزلية التي أظهرت تحسراً وتوجعاً، وجاءت فيها إشارة إلى من غدروا به في السياسة فيحذر الحبيبة من أن تتخذ المعيار ذاته في التعامل معه.أما في مجال ذكره لأسرته وقومه فجاءت هذه الأبيات التي تغنى بها مفتخرا، بقوله[١]:

(الخفيف)

يَاْ لَقَوْمِـــــيْ مِن آلَ مَزْيَدِ مَالِيْ لَاْ أَرَىْ لِـــــيْ مُخَيَّماً فِيْ قِبَابِ
أَنْتُم خَيــــرُ مَـــــنْ أُقِيمُ عَلَيْهِ عَمَداً مُشرِّقـــــاً عَلَـىْ أَطْنَابِ
إِنْ سَطَا الخَطْبُ كُنْتُم مَــاءَ مُزْنٍ أَوْ بَدَاْ الحَرْبُ كُنْتُم أُسْـــدَ غَابْ
رُمْتُ صَبْراً عَنْكُمْ فَأَعْوَزَنِـيْ الصَّبْرُ فَهَلْ لِـــــــيْ إِلَيْكُم مِنْ إِيَابِ

فالشاعر استنجد بقومه بوقت لا يجد له عونا غيرهم، لكنه حمل همّا خفيا جسد ما يعانيه ورسم صورة لقومه في موقف خذلان، إذْ لم يسعفوه حين أعوزته الأيام لما كان ينتظره منهم، وكنّى عن موقفهم المفترض هذا الذي تمنى أنه يكون مسانداً له بقوله (لا أرى مخيما في قباب) فقد جعل من نفسه صاحب القباب لأنه أمير ومن أسرة شهد لها بالفخر وتولى الأمور الجسام.

ميلاده، ووفاته:

ولد في مدينة الحلة التي كان يطلق عليها آنذاك بالجامعين في سنة (533)هجرية التي توافقت مع سنة (1140)ميلادية، ثم قدم إلى مدينة مصياف في بلاد الشام بعد أن تعرض لمضايقات أفصح عنها شعره سنة (563) هجرية، ثم توفيَ هناك سنة (592) هجرية، أو سنة (1199)، ودفن في جبل "القاهر" الواقع على بعد (5) أميال من مدينة مصياف[٢].

تأثره بشخصية سنان راشد الدين[٣]:

ارتبطت حياة شاعرنا بشخص اسمه سنان راشد الدين، عاصره ولادة ووفاة وسكنا[٤]، وتأثر به إلى حد لا يوصف، وقد قال فيه شعراً كثيرا، فقد جاء في شعره أنه لا يهتم للغيد وجمالها بل يشغل فكره بما ألهاه عنه وهو سنان، بقوله[٥]: (الخفيف)

دَعْ هَوَىْ الغِيْدِ وَاعْتَصِـــــمْ بِكِرَامٍ لَاْ يَرُوْنَ الحَيْاةَ يَوْمَاً عَبُوسَـــــا
وَتَمَسَّكْ بِصَاْحِبِ الوَقْتِ وَاطْلُـــبْ مَاْ تَمَسَّكَتْ بَابِهِ المَحْرُوسَـــــا
اسْمُهُ الكَـــــــيَا[٦] وَأَمَّا سِنَانُ فَهُوَ حَدٌّ يَهِزُّ فِيْنَا النُّفُوْسَـــــا
هُوَ ابْنُ البَتُوْلِ حَـــــقًّا وَصِدْقًا وَابْنُ مَنْ كَاْنَ لِلْوَرَىْ نَاْمُوْسَـــــا
يَا ابْنُ مَنْ أَوَّلُ اسْمِهِ نَبْـــعُ مَاْءٍ ظَاْهِرٍ بَعْدَ أَنْ كَاْنَ غَائِبًا مَطْمُوْسَـا

فالشاعر يدعو لترك لهو الدنيا وانشغال البعض بجمال النساء ولاسيما منهن الغيد، والالتجاء إلى من أشار إليه ووصفه (بصاحب الوقت)، ودعا للتمسك بنهجه والسير على منواله، ذاكراً ما لقب به (الكيا)، ومشدداً على اسمه(سنان)،وقد أعاد أصوله التأريخية وأوصل نسبه إلى السيدة فاطمة الزهراء(ع)، مذكرا بما اتسم به من سجايا أصبحت للورى مفتخرا.وقال فيه أيضا[٧]:

(الكامل)

يَاْ رَاشِدَ الدِيْنِ الذِيْ أَرْشَدْتَهُ فِيْكَ الخَلَاْئِقُ بِالزَّمَانِ الحَاضِرِ

(١) الديوان: ٦٨.
(٢) ينظر الديوان: ٧.
(٣) سِنَان بن سلمَان بن محمّد أَبُو الْحسن رَاشد الدّين الْبَصْرِيّ كَبِير الإسماعيليّة وَصَاحب الدعْوَة النزاريّة كَانَ أديباً فَاضلا عَارِفًا بالفلسفة وشيئاً من الْكَلَام وَالشعر وَالْأَخْبَار (ت٥٨٩ه). ينظر: الوافي بالوفيات-الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط: (١٥/ ٢٨٢).
(٤) ينظر الديوان: ٩.
(٥) الديوان: ١١٨.
(٦) مُحَمَّدُ بنُ صَبَّاحٍ، الملقب ب(الكيا) أحد أمراء الدولة الإسماعيلية. ينظر: سير أعلام النبلاء: ابن قَايْماز الذهبي.: (٢١/ ١٨٧).
(٧) الديوان: ٩٣.

فَاغْفِرْ فَأَنْتَ لَنَا مُمِدٌّ تَفَضُلاً لِلْمُسْتَمَدُ مِنْ العَزِيْزِ الغَافِـــرِ

وله قصيدة كاملة يمدح فيها سنان، منها هذه الأبيات التي يقول فيها[١]: (المتقارب)

فَيَا رَاشِدَ الـــــدِيْنِ يَا سَيِّدِيْ وَأَنْتَ الإِمَامُ وَبَدْرُ التَّمَـــامِ
وَأَنْتَ الذِيْ كُنْتَ أَرْشَدْتَـــنَا وَأَنْقَذْتَنَا مِنْ طَرِيْقِ الظَّـــلَامِ
وَأَنْتَ حَقِيْقَةُ هَذا المِـــثَالُ وَبَيْتُكَ زَمْزَمُ ثُمَّ المَقَـــامِ
وَأَنْتَ الصَّلاةُ إِمَامُ الهُـــدَى وَأَنْتَ الزّكاةُ وَأَنْتَ الصِّيَـــامِ
وَمَزْيَد يَرْجُو لِقَاكُمْ غَـــداً بِيومٍ يَكُونُ الوَرَى بازدحـــامِ

واضح تعلق الشاعر بهذا الشخص الذي أوجد تغيرات كبيرة في حياته وحياة المجتمع آنذاك، ومنها ما ذكره الصفدي بقوله: (أحلّ لِقَوْمِهِ وَطْء المحرّمات من أمّهاتهم وأخواتهم وبناتهم وَأسْقط عَنْهُم صَوْم رَمَضَان)[٢]

موضوعاته شعره:

شعر مزيد على قلته لا ينضب نبعه، فهو لا يهجر رياض الحب والوداد، ولا ينفض يده من أقداح الصبابة، ولا يتعب فكلما لاح له بارق أمل جديد عاوده الحنين إلى وطنه، ومعتقده فقد كتب أشعاره في مختلف الموضوعات، فتحدث عن نفسه وعن أهله وقبيلته وأكثر من مدح آل البيت، وكتب شعرا في الغزل والمقدمات كان لها نصيب كبير[٣]. ومن أهم تلك الموضوعات الآتي:

1-مدح آل البيت (ع):

ولما كانت للشعر هذه المكانة ولاسيما المدح، في البيئة العربية، إذ رفعه الناس عامة والشعراء خاصة إلى أعلى المراتب وقدروه حق قدره، فقد عرف الشاعر موضعه من المجتمع وأدرك أثر مدائحه في الممدوحين[٤]، فراح لمدح الأمراء والخلفاء ولاسيما في العصر الأموي وقد يكون المدح صادقا أو متملقا ؛ لكنَّ شاعرنا ذهب في اتجاه آخر ألا وهو مدح المعتقد، ومن كان السبب في ذلك المعتقد؛ فتجسد له في أبياته هذه مدح آل بيت الرسول(ع) ولاسيما المهدي المنتظر، بقوله[٥]: (البسيط)

وَ لُذْ بِهِ مُوقِـنًا وَاقْصُـدْ لِحِيْرَتِـهِ تَنْجُو بِـهِ مِنْ عَظِيْـمِ الهَمِّ وَالكَرَبِ
فَحِيْـنَ يَمَّـمْـتُ سَيْـرِيْ نَحْوَهُ وَبَدَا فَرَدَّنِـــيْ البَابُ بَعْدَ الكَـــدِّ وَالتَّعَبِ
دَاْعِيْ الدُعَاةِ وَمهْدِيْ النَاْهِجِيْنَ إِلَىْ سُبُـــلِ الرَّشَـــادِ بِلَاْ شَكٍّ وَلَاْ كَذِبِ
وَعُدْتُ أَقْصُـــدُ مَنْ لَوْلَاْهُ مَاْ عَرَفْتُ سُبُلَ الهُدَىْ وَأَقْتَدِيْ مَاْ جَاْءَ فِيْ الكُتُبِ
قَاْلَ الإِمَـــــامُ حَدِيْثًا صَحَّ وَاْرِدَهُ عَـــنْ الثِّقَاتِ وَأَهْـــلِ النُّوْرِ وَالحُجُبِ
لَوْ خَلَـــتِ الأَرْضُ يَوْمًا مِنْ مُثَبِّتِهَا لَمَاْدَتْ الأَرْضُ وَالأَفْـــــلَاْكُ بِالقُطُبِ
وَقَاْلَ مَـــنْ مَاْتَ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِـــهِ مَاْتَ كَالمَجْهُوْلِ فِيْ الحِقَبِ
لَوْلَاْ الدَّلِيْلُ لَمَـــا كَاْنَ الطَّرِيْقُ بِهِ عِلْمًا وَلَاْ كَاْنَ ذَاْ نُطْـــــقٍ وَذَاْ أَدَبِ

جاء ذكر المهدي ومدحه في هذه الأبيات ليعبر عن وجهة نظر الشاعر، وإيمانه بالاتجاه الاسماعيلي الذي قارب وجهة نظر متخذي المذهب الامامي في العصر الحديث،،وأكد على الحديث المشهور بين دعاة الإمام (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميته جاهلية)[٦]. وقد مدح زعماء الدولة المزيدية والمتصدين لزعامة المذهب الاسماعيلي ذاكرا آل البيت، بقوله [٧]:

(١) الديوان: ١١٤.
(٢)الوافي بالوفيات-الصفدي: (١٥/ ٢٨٢).
(٣) ينظر الديوان: ١٨.
(٤) ينظر: المدح في الشعر الجاهلي رؤية جديدة - د.السعيد حامد شوارب: ٣١.
(٥) الديوان: ٦٥.
(٦)الملل والنحل: الشهرستاني: (١/ ١٩٢).
(٧) الديوان: ٨٣.

(الخفيف)

جدُّه المصطفى أبوه عليٌّ مرتضى الحق أمه الزهراء

وله المشعران قصداً لمن حجَّ ولبَّى والركن والبطحاء

واستمر الشاعر بأسلوبه الدائم في ذكر آل البيت مازجا سيرتهم العطرة مع آل إسماعيل الذين يسير على نهجهم ويناصرهم بكل قدراته.

2- أثر القرآن الكريم في شعره:

حينما نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين، وتمثلت فيه الصور البيانية، وجسد الأسلوب العربي بأجمل صياغة، مما جعل فصحاء العرب وبلغاءهم يرون فيه أنه يمثل جوهر فطرتهم، وأفكارهم في اللغة والبيان، لذلك أدركوا منذ أن استمعوا إلى آياته البيّنات في الوهلة الأولى، أنه فاق المستوى الذي عرفوه في ألفاظهم وأشعارهم وخطبهم، فكانوا أول من شهد بإعجازه. وهذا ما حفز تلك الروح الوثابة في شاعرنا المتطلع للتفوق الأدبي على أقرانه في الحقبة المظلمة التي عاشها في نهاية القرن السادس الهجري، فقال متأثراً بأسلوب القرآن الكريم[١]: (البسيط)

فَحَلَّنِيْ دَارُهُ مِنْ فَوقِ مَرْتَبَةٍ وَلَاْحَ لِيْ التِيْنُ وَالزَيْتُونُ وَالبَلَدُ

فالأثر القرآني واضح لأن الرجل متوجه توجها دينيا في أغلب أشعاره على الرغم من اختلافه مع كثير من مناهج المسلمين من المذاهب الأخرى، وجاء هذا البيت ليجسد قوله تعالى من سورة التين ((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ))[٢].ومما جاء متأثرا بألفاظ القرآن الكريم، ومازجا ذلك بموالاة آل البيت الكرام (ع)؛ قوله[٣]:

(الطويل)

يُوالِيْ وُلاةَ الحَـــــقِّ آلَ مُحَمَّدٍ فَحُبُّهُمْ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْـــلِمِ

هُمْ العُرْوَةُ الوُثْقَى هُمْ الرُّكْنُ وَالصَّـفَا هُمْ الحَجُّ والمَسْعَى هُم بِئرُ زَمْـــزَمِ

هُمْ شَجَرَةُ الطُّوبَـــى[٤] وَسِدْرَةُ المُنْتَهَى هُمْ جَنَّةُ المَأْوَىْ وَنَارٌ لِمُجْـــــرِمِ

هُمْ التِيْنُ وَالزَّيْتُونُ والشَّمْسُ وَالضُّحَى وَطَهَ وَمَا قَدْ جَاءَ فَيْ فَضْـــلِ آدَمِ

هُمْ مَرَجُ البَحْرَيْنِ يُخْـــــرِجُ مِنْهُمَا قَلَائِدُ دُرٌّ لِلأَنَامِ مُنَظَّـــــــــمِ

هُمْ ك هـ يا عَيْـــن ص وَمَا أَتَى مِنْ الآي فِيْ مِيْلَادِ عِيْسَى بنُ مَرْيَمِ

هُمْ حُجَّةُ الرَّحْمـــــنِ بَيْنَ عِبَادِهِ هُمْ الحَبْلُ حَبْلُ اللّهِ لَمْ يَتَصَـــرَّمِ

تأثر الشاعر بألفاظ القرآن الكريم واضحة للمتلقي في هذا النصِّ أو غيره، فقد ورد عنده لفظ على سبيل المثال لا الحصر (العروة الوثقى)الذي جاء مجسدا لقوله تعالى ((وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى))[٥]؛ ولم يكتف بذلك بل وردت في النص نفسه ألفاظاً قرآنية أخرى؛ ك(الصفا، سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،جنة المأوى، والتين والزيتون، والشمس، والضحى، وطه، مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، ك هـ يا عين ص)[٦]. وكلها ألفاظ اقتبست من القرآن الكريم.

(١) الديوان: ٧٤.
(٢)التين: ١ – ٣
(٣) الديوان: ٦١.
(٤) قيل أن طوبى: شجرة من الجنة. ينظر: شمس العلوم: ابن سعيد الحميرى(ت ٥٧٣هـ): (٧/ ٤١٨٥).
(٥) البقرة: ٢٥٦
(٦) ينظر: (البقرة: ١٥٨ , النجم: ١٤, التين: ١ , الشمس: ١ ,طه: ١ ,الرحمن: ١٩,مريم: ١).

٣- مقدمات قصائده:

تشكّل مقدمة القصيدة البداية التي تقودُ إلى باقي أجزاء القصيدة من حيث الجانب الشكليّ، أما من الجانب الموضوعي فقد حملت مقدمات القصائد العديد من المعاني الذاتيّة والفكرية للشعراء وعصورهم. وقد اهتمّ النقاد والدارسونَ "قدماءُ ومعاصرونَ" من عرب ومستشرقينَ بمقدمات القصائد بالدراسة، والتحليل والتعليل.

في حين وجد النّاظرُ في ديوان الشعر العربي ولاسيما في العصر الجاهلي بعضًا من القصائد بلا مقدمات، وقد شغل هذا الموضوع الباحثين كثيرًا، أما شاعرنا الذي عاش حياته في نهاية العصر العباسي، عاد وبقوة لهذه المقدمات ومما أحصيته له المقدمات الآتية.

أ-المقدمة الطللية:

أكثر الشعراء من استعمال المقدمات الطلليّة، مما جعل عناية النقاد بها واضحةً في الدرس النقدي، فتناولوها بالتفسير والتحليل في ضوء المناهج النقدية القديمة والحديثة، وعللوا تحديد الشعراء الأماكن خوفًا من درسها. وبيّنوا أنّ تنقلَ الإنسان الجاهلي كان سببًا لظهور المقدمات الطلليّة، فأكدوا أنّ تنقلَ القبيلة من مكانٍ لآخر، وإقفار الديار وثورة الذكريات التي تختلج نفس الشاعر عند مروره الديار كانت البداية الطبيعيّة لظهور المقدمة الطلليّة في الشعر العربي. وفي هذا الجانب اقتفى شاعرنا أثر الشعراء الجاهليين ببكائه على الطلل المحيل، بقوله[١]: (الكامل)

لَاْ تَنْدُبْ الطَّلَلَ المَحِيْلَ تَأَوْهاً هَيْهَاتُ تَبْلِـغَهُ وَدَمْعُكَ سَاكِبُ

وَصَلُ الكِرَامِ بِابْنَةِ الكَــرَمِ التِيْ هَرَقَتْ وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ كَاذِبُ

فالشاعر سار على نهج الشاعر الجاهلي، وذكر الطلل المحيل، ويبدو أن الشاعر يعاني من كثرة الترحال والتنقل، ولاسيما ما أبرزه شعره من تحسر وتوجع وعدم استقرار نتيجة لتتبعه المذهب الاسماعيلي الذي طُورد بسببه في العراق فتحول إلى مدينة مصياف. وبالصدد ذاته قال مزيد في الطلل[٢]:

(الطويل)

سَلِ الرَّبْــعَ[٣] كَمْ مِنْ لَاْحِفٍ[٤] بَلَّ دَمْعُهُ تَرَاهُ فَهَلْ يَشْفِيْ مِنْ الدّمْعِ لَاْهِفُ

وَمَنْ يَشْكُ صَرْفَ البَيْنِ صُـمًّا دَوَارِسًا يَمُتُّ وَالجَوَى مَاْ بَيْنَ جَنْبَيْهِ لَاْحِفُ

دِيَارٌ عَفَتْ مِنْهَا الرُّسُومُ فَأَصْبَحَــتْ عَوَاطِلَ تُذْرِيَهَا الرِّيَاحُ العَوَاصِــفُ

تتبع شاعرنا الأثر الجاهلي في كثير من المواضع، وهذا ما تحقق مصداقه في هذا النص الذي تحدث فيه عن الربع وهي تسمية جاهلية أفرد له فصلا صاحب المنازل والديار وأتى بشواهد شعرية دلت على معنى لفظة (ربع)[٥]، مبيناً فيها ارتباط العربي بوطنه الصغير ألا وهو المنزل الشخصي ولاسيما منزل الحبيبة التي رحلت في ليلة وتركت ربعها فارغا يشكو الاندراس والهجر.

ب- المقدمة الغزلية:

وهي المقدمات التي وصف فيها الشعراء المرأةَ وصفًا حسيًّا ومعنويًّا. وعدّدها ليس بالقليل؛ لأنّها مرتبطة بالواقع الاجتماعي والنفسي للشاعر. ويؤدي الحديث عن الطّلل غالباً إلى الحديث عن الغزل، وهذا ما يؤكد على الصلة الوثيقةَ بين الطلل والغزل. ويرى د.حسين عطوان أن القصائد التي تضم مقدمات غزلية هي قصائد طويلة إلى حد ما ؛ يَبِثُّ في صدورها الكثرة المطلقة من أحزانه وآلامه ويظهر حسرته ولوعته على فراق الحبيب ويشكو شكاية تلفت نظر المتلقي مرة من طول ليله وأرقه، حتى لكأنَّ نجومه تأبى

(١) الديوان: ٨٤.
(٢) الديوان: ٧١.
(٣)الربع: المنزل، ودار الإقامة. ينظر: لسان العرب: (٨/ ١٠٢). (ربع).
(٤) وألحف السائل: ألح. ينظر: معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: (٥/ ٢٣٨).
(٥) ينظر: المنازل والديار: أسامة بن منقذ: ١٣٦.

الاندحار أمام أضواء الصباح وقال عنه ذلك ليس غزلا ولا ما يشبه الغزل[١]. من تلك المقدمات هذه المقدمة الغزلية في القصيدة النونية، التي قال فيها[٢]:

(الكامل)

أفتورُ لَحْـــظُكِ أَمْ غِرَارٌ[٣] يَمَانِيْ وَقَـــوَامُ قَدُّكِ أَمْ قَضِـيبُ البَانِ
أَمْ حَاجِبَانِ عَلَى الجَبِيْـــنِ تَقَوَّسَا أَوْ فِيْ صَحِـــيْفَةِ كَاتِبٍ نُوْنَانِ
وَشَنِيْبُ[٤] ثَغْرٍ فِيْ فَـــمٍ أَمْ لُؤْلُؤٌ نَظَمُوْهُ فِيْ سِلْكٍ مِن المُرْجَـــانِ
يَا لِلْتِي أَسْكَنْتُهَا فِي مُهْجَتِـــيْ فَبِأَيْ مَقْدِرةٍ مَلَكْتِ عَنَانِـــي
بِشَقَائِقٍ مِن وَجْنَتَيْـــنِ تَشَقَّقَتْ حجب القلوب شقائق النعمـــان
أو كلَّما عاينتُ طرفـــك في الكرى وشكوت طول البعد والهجـــران
أوترت قوسي حاجبيك كأننـــي غرضٌ لأسهم طرفـــك الفتَّان
يا بنتَ مختلسِ النفوس ترفقـــي فهـــواك أبعدني عن الأوطان
لولاك ما اتصل السهاد بمقلتـــي ولمـــا جفا طيف الكرى أجفاني
ولما رأيت من العجيب مصـــارعاً للأسد بيـــن مراتع الغزلان

فالشاعر تغزل بفتاته التي اتصفت بجمال العنين وفتورهما، وأشبهت بذلك اليماني الذي ينام قليلا (غرار يماني)؛ أما استقامة القوام فقد شبهها بقضيب البان، وشبه الحاجبين بالقوس، ثم أضاف شيئا جديدا من التشبيه وهو أن الحاجبين كحرفي نون مقلوبين رسما في صحيفة، وانتقل لثغرها ليصفه، وجمال أسنانها التي أشبهت اللؤلؤ، وبعد انتهائه من وصف جمالها تحول لوصف معاناته، وكيف أنها تمكنت من أن تأسر قلبه وتملك عنانه ؛ ثم عاد ليصف وجنتيها التي شبههما بشقائق النعمان، وكل هذا الجمال كان سببا في إبعاده عن الوطن، ثم انتقل إلى غرضه الرئيس الذي كان يتمثل في الدعوة إلى الاسماعيلية، بقوله(تمسكي بحبال آل محمد --ما عشت لا بحبائل الشيطان)[٥].

ج- الظعن:

عرفها حسين عطوان بقوله (تصوير مناظر التحمل والإرتحال)[٦]، ويجد فيها أنَّ الشاعر يعبر عن حزنه وأسفه وخيبة أمله نتيجة الرحلة والفراق فهو يتحدث عن أكثر من قضيةٍ، وأكدّ أنّ القدماء لم يعنوا بهذا النوع من المقدمات عنايةً كبيرةً. وسببُ ذلك ليس عدم معرفة الشعراء بها أو جهلهم إياها[٧].

إنّ تقاليد وتفاصيل مقدمة الظعن بما يتصل بها من وصف الاستعداد للارتحال بالإبل وهوادجها وثيابها وألوانها، أو بالحادي والدليل أو بالطريق ومخاطرها أو بغاية الرحلة التي هي معروفة لدى الشعراء الجاهليين، فكثيرٌ من تقاليدها ثابتة لديهم، ولكن يبدو أنَّ الأمر ليس متعلقاً بالجاهليين فحسب؛ بل سار على نهجهم الشعراء العباسيون ومنهم شاعرنا مزيد الحلي بمقدمته عن الظعن، بقوله[٨]:

(الطويل)

أتشتاقُ أمْ شاقتكَ ظَعْـــنٌ تَقاذفت بها فلوات بالمطـــــيّ قواذف
يجُبْنَ الفيافي خُدَّمٌ بمناســـــمٍ يطير بها حرانها المتواصـــف

(١)تنظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي- د.حسين عطوان: ٩٢.
(٢) الديوان: ٧٩.
(٣)الغِرارُ بالكسر: النوم القليل، ينظر: الصحاح: الجوهري: (٢/ ٧٦٨).
(٤)الشَّنَبُ: ماءٌ ورِقَّةٌ يَجْرِي على الثَّغْر. ينظر: لسان العرب (شنب):
(٥)الديوان: ٧٩.
(٦) مقدمة القصيدة: حسين عطوان: ١٣٧.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧.
(٨)الديوان: ٧١.

تلوحُ وراء السجف من جانب الخبا مخـــــــدَّرة بل ربربٌ متهاتف

فالشاعر يتحدث عن الشوق الذي أصابه؛ ثم يجعل نفسه متسائلاً عن الظعن الذي تقاذفته الفلوات، واستمر بالحديث عن المصاعب التي واجهته خلال مسيرته في الصحراء.

د- مقدمة الطيف:

جاء ذكر مقدمة وصف الطيف على لسان عمرو بن قميئة كما أشار إلى ذلك حسين عطوان، وفيها يصف الشاعر طيف محبوبته، بعد أن قطع المفاوز الموحشة المجهولة، والطرق المتداخلة حتى انتهى إليه وداعبه في منامه[١]. وفيها يتساءل الشاعر ويتعجب من الطريقة التي وصل بها طيف المحبوبة إليه، وكيف تجاوز تلك القفار، وعرف المسالك حتى وصل إليه وداعبه، وهو يغطُّ في نوم عميق نتيجة لما لاقاه من متاعب في يومه الفائت، مع توقع إبعاد وصول المحبوبة بحقيقتها بأي حال من الأحوال، وذلك ما ذهب إليه مزيد الحلي، بقوله [٢]: (البسيط)

طَيْفٌ لِحَسْنَاءَ مِنْ بَعدِ الكَـرَى طَرَقَا لَيلاً فَهَاجَ بِيْ الأحـــــــزانَ والقلقا

عَجِبْتُ وَهُوَ إلى جَنْبِي يُعَاتِبُنِـــيْ مَا كَانَ أَحْسنُ هذا العَتَبُ لَو صَـــدَقَا

وقال مزيد الحلي مخاطباً ذات النخيل، وهو اسم أطلقه على مدينة الحلة، ناصحاً أهلها بالصبر الذي تحمد عقباه، والخطاب هنا موجه لمن يعتنقون المذهب الاسماعيلي، نتيجة لما مروا به من مضايقات أدت بهم إلى ترك مدينتهم التي أسسوها والارتحال عنها عنوة، بقوله[٣]: (الكامل)

يَا سَاكِنِـــي ذات النخيل عليكم بالصبر فالمحمـــود عقب الصابر

لا تبعثوا طيف الخيال يزورنـــي فأذوب وجداً بالخيـــــال الزائر

فالشاعر طلب من أهل مدينته ألا يبعثوا بطيف خيالهم ليزوره ليلا، فيتذكر أيام تلك المدينة التي رفلت بالعز والافتخار أيام كانت تزهو بأهلها المزيديين.

٤- خمرياته:

كاد القدماء أن يتفقوا على أنَّ عمرو بن كلثوم، هو أول من صرح بخمرياته حينما استهل معلقته بذكر الخمر، بقوله[٤]:

(الوافر)

أَلا هُبّي بِصَحـــــنِكِ فَاصبَحينا وَلا تُبقي خُمـــــورَ الأَندَرينا

مُشَعشَعَةً كَأَنَّ الحُـــــصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطَها سَخيـــــنا [٥]

لكن بروز الخمرة كغرض مستقل يعتقد أن ذلك حدث في العصر العباسي بشكل ملفت للنظر على يد أبي نواس مع وجوده في عصور سابقة كالعصر الجاهلي أو الأموي، وسميَّ أبا نواس بشاعر الخمريات؛ وبعد أنْ كان على شكل مقدمات خمرية وفيها يختفي منظر الوداع التقليدي، وما يتصل به من حديث الظعائن المسافرات، وتحلّ مكانه مناظر مجالس الشراب بسقاتها وندمائها... وفي بعض الأحيان يظهر فيها الحديث عن المرأة، وعواطف الشاعر ومشاعره، فهي مزاج من عناصرَ شتى ومقوماتٍ متعدّدةٍ، لكن الغريب في الأمر أنَّ الكثير من المقدمات الخمرية هو حديث الشعراء عن الموت والفناء. وقد انتشرت هذه المقدمات بعدما عمّ الرخاء بغداد واستقرّت أحوال أهلها وأخذ الناس حظًّا وافراً من اللهو والشراب، وكذلك الترف الذي وفّره الخلفاء للشعراء جعل هؤلاء يعكفون على

(١)ينظر: مقدمة القصيدة العربية: حسين عطوان: ١٠٤.
(٢)الديوان: ٧٦.
(٣)الديوان: ٩٢.
(٤)ينظر: الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري: (١/ ٣٨٠).
(٥)ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق - إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٦م: ٦٤.

الملذات، وكانت الحانات والأديرة قد انتشرت في بغداد، ذلك كلّه وغيره ساعد على وصول موجة الخمريّات إلى أبعد غاياتها في هذا العصر.

والخمريات فن شعري ليس بجديد على الشعراء العباسيين، فهو قديم، بدأ بشعراء ما قبل الإسلام مثل (الأعشى) واستمّر مع شعراء الإسلام كـ(أبي محجن الثقفي)، ثمّ حمل لواءه في العصر الأُموي (الأخطل) ثم (الوليد بن يزيد) الذي كان بسبب نزعته الآثمة وافتتانه بالخمريات قد مهد كثيراً (لأبي نواس) وإضرابه في عصبة المجّان في العصر العبّاسي، وبذلك نجد أنَّ مزيد تأثر بهذه الأجواء مع أنها تخالف منهجه الذي سار عليه في أغلب قصائده وهو التوجه الديني المذهبي الاسماعيلي، وبذلك جاءت هذه القصيدة التي تضمنت أسئلة كثيرة، يستفهم فيها بإلحاح عما أصابه من ألم ووجع جعله يتجه نحو شرب الخمرة، ويقول فيها شعراً، منه هذه الأبيات[١]:

(الطويل)

أَيُخْطَـــى بِقُرْبِ الدَّارِ صَـبٌّ مُتَيَّمُ وَقَدْ شَفَّهُ كَأْسٌ مِن البَيْـــنِ عَلْقَمُ
وَهَلْ تَشْفَـــعُ الأَيَامُ بِالوَصْلِ بَعْدَمَا تَحَكَّمَ دَهْرٌ بِالقَطِيْـــــعَةِ يَحْكُمُ
إِلى كَمْ أَلُومُ النَّفْـسَ عِنْدَ ادْكَارُكم[٢] وحَتامَ أُخْفِـــي مَا أُلاقِيْ وَأَكْتُمُ؟
وَفِي كَبَدِي للبَيـــــنِ نَابٌ ومَخْلَبٌ وحَولِي ذِئابٌ للحَوادِثِ حُـــــوَّمُ
وَكَم لَيلَةٍ قَضَيْـــــتُ فِيْهَا مَآرِبِي أُعَانِقُ رَبَّاتِ الخُـــــدُورِ وَأَلْثِمُ

أكثر الشاعر في هذا النص من التساؤلات وأتى بأكثر من أداة استفهام ومزج بين التصديق والتصور فالهمزة التي أتت للصنفين استعملها للتصديق فقال (أيُخطى) ووصف نفسه بـ(المتيم) وكل ذلك كان سببه ظهور الكأس في حياته، واستمر في سرد تساؤلاته بـ(هل، متى)، ويبدو أن الرجل متأثّر نفسياً بما يحيط به، وممن سبب له كل هذه الآهات التي أجبرته لطريق لم يكن راغبا له فتوجهه نحو كأس الخمرة.

ثم يطلب من جلسائه سقايته الخمرة، بقوله[٣]:

وظـــبياً أناجيـــه وقد غلب الكرى ألا فاسقنـــــي خمراً من الدّنِ يرهم[٤]
أدرها لنا لا عيـــــش إلاَّ بشربها إذ لاحَ ضـــوء الصبح أو هبَّ أنسم
مشعشـــــــعة تصفو لكل متيم لبيبٍ وأمَّا عن جهولٍ فتحـــــــرم
تلوحُ فلا أدري مصابيـــــح راهبٍ تشـــــعُّ أم انقضَّت من الأفق أنجم
ويرفعها الساقـــــي فلستُ بعارفٍ أيلزمها بالكفِّ أم ليـــــس يلزم

فقد وصف حال ساقيه ووصف نفسه وهو يحتسي الخمرة، إذْ أصبح لايميز بين الكأس هل من تمسك الساقي أم الساقي من يمسكها. ولم يكتف بذلك، بل بدأ يصف الخمرة في قصيدته[٥]:

هِيَ الشَّمْسُ في السَّـــرَّاءِ والبدرُ بُرْجُها ومشرقـــــــــها كأس ومغربها فمُ
إذا برزت هبـــــــــوا قياماً وسُجَّداً ويهـــــرق من بعد السجود لها دمُ
فتقتلهم من بعـــــــــد قتلهم لها وقلت اقتلـــــوها أيها القوم تسلموا
أيا دهر هل بعد التفرق رجـــــــعة وهل يشتفـــــي من لاعج الشوقِ مغرمُ

(١) الديوان: ٧٠.
(٢) الإدكار، مأخوذة من مدكر، ومُذَكر فِي الأَصل مُذْتَكِر عَلَى مُفْتَعِل فَصُيِّرَتِ الذَّالُ وَتَاءُ الِافْتِعَالِ دَالًا مُشَدَّدَةً. ينظر: لسان العرب: (٤/ ٢٩٠).
(٣)الديوان: ٧٠.
(٤) يرهم: المطر الضعيف الدائم. ينظر: العين (٤/ ٥٠).اللَّدْنُ: اللَّيِّنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ عُودٍ أَو حَبْلٍ أَو خُلُقٍ. ينظر: لسان العرب (١٣/ ٣٨٣).
(٥)الديوان: ٧٠.

ثم تنبه بعد ذلك وهو في غمرة وصفه للخمرة وما الذي تفعله بشاربها، فتذكر أن ذلك الشيء لا يناسبه وهو الرجل الأمير من الأسرة المزيدية الموالي لآل البيت أن يستقي الخمرة ويصفها بهذا الوصف فدعا من يحتسيها إلى تركها والتوجه للصلاة والسجود واتقاء الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: أثر مدينة الحلة في شعره:

عرفت هذه المدينة بالجامعين، أو الحلة الفيحاء، أو السيفية أو المزيدية نسبة إلى الأمير سيف الدولة "صدقة بن دبيس المزيدي" الذي بنى تلك المدينة، وأما المزيدية فتنسب إلى بني مزيد، وهو الجد الأول لهم وتقع الحلة المزيدية أو الجامعين في الموضع نفسه الذي تقع به مدينة الحلة الحالية، واشتهرت بالجامعين وقد تميزت بانتساب الأدباء والعلماء إليها الذين ينسبون إلى الحلي(١). وقال مزيد في الجامعين(٢):

(الطويل)

فَيَا دَهْرُ هَلْ بَعْدَ التَفَــرُقِ رَجْعَةٌ فَيَهْتِفُ بِيْ للوَصْلِ يَا دَهْرُ هَاتِــفُ
وَتُسعِدُنِي بِالقُربِ بَيْنَ أَحِبَــتِيْ وَتَجْمَعُنِيْ بِالجَامِعَيْــــنِ مَعَارِفُ
أُخَالِفُ قَلبِي في تَزَايد وَجْــــدِهِ عَلى كِثْرَةِ الأَشْوَاقِ وَهُوَ يُخَالِــفُ
وَمَا كُنْتُ مِمَنْ يَرتَضِــــي بِبِلَادِهِ بَدِيلاً وَلَو مَالتْ عَليَّ العَواطِــفُ

فهو يعاتب الدهر الذي أبعده عن مدينته، ويذكر تعلقه فيها، وحبه ووداده لها، ويؤكد عدم قناعته ببديل لها.وقال فيها أيضا(٣):

(البسيط)

هَلْ لِيْ بِرَجْعَةِ عَيْــشٍ كُنْتُ أَعْهَــدَهُ للجَامِعَيْــنِ وَبَرْقُ البَيْنِ مَا بَرَقَا
أَيَامَ أخطرُ(٤) فِيْ رَوْضِ الصِّــبَا فَرحًا وَلُمَتِيْ جَتلةٌ تَزْهُــــو لِمَنْ رَمَقَا

فالاستفهام الذي ينقل معاناة الشاعر بادٍ عليه واستعمله هنا مجازا للتمني بعودة الأيام التي كان يعيشها في تلك المدينة، ولاسيما ما يتخطره أيام صباه، وحينها كان كثُّ الشعر الذي يتميز بجماله. وقال ذاكرا مدينة الحلة التي كانت تسمى الجامعين(٥):

(الكامل)

أَسَــــرَتْ بِسِكُانِ العَقِيْقِ(٦) رَكَائِبُ أَمْ شَتْتَ الشَمْــلَ الغُرَابُ الناعبُ
وَخَلَــــتْ مِن القَومِ الَّذِيْنَ عَرَفْتُهُمْ بِالجَامِعَينِ مَرابِــــعٌ وَمَلَاعِبُ

لعلَّ أسلوب الاستفهام ولاسيما الهمزة لها وقع كبير في حياة هذا الشاعر الذي بدا دائما متسائلا عن أشياءٍ كثيرة استجدت فهنا وجه سؤاله لسكان(العقيق)، ومن ثمَّ مزج ذلك التساؤل بالتشاؤم وبخاصة من الغراب الناعب الذي تسند له العرب كل فعل مشؤوم، وكل ذلك جاء تأكيداً لما يعانيه قومه في الجامعين الذين كانوا في أحسن حالٍ ثم دارت بهم الدوائر وإذا هم مشردون مشتُّون ضائعون. ومزيد الحلي حين تذكر أحبته بمدينة الجامعين الحلة حاليا، قال(٧): (الكامل)

ذِكْرُ الأَحِبَّةِ بِالعِــرَاقِ أَهَاجَ بِيْ شَوْقًا وَقَدْ يَزْدَادُ شَوقُ الذَّاكِرِ
ومَرَابِعٌ بِالجَامِعَيْــــنِ عَهَدْتُهَا تَزْهُو بِغِزْلَانٍ لَها وَجَــــآذِرِ(٨)

---

(١) ينظر: معجم البلدان (2/ 96).و الديوان: 20.
(٢) الديوان: 72.
(٣)الديوان: ٧٦.
(٤) أتذكر: لسان العرب (خطر):
(٥)الديوان: ٨٨.
(٦)والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق. ينظر: معجم البلدان: الحموي: (٤/ ١٣٨).
(٧) الديوان: ٩١.
(٨) حصل تصحيف فيها في الديوان إذ كتبها(جآزر)، والصحيح هو (جآذر).الجُؤذر: ولد البقرَة الوحشيَّة، والجمع جآذِرُ.,اعتقد هنا قصد أولاد الغزلان. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (٢/ ٦١٠).

نلاحظ غرض الوصف لحالة الشاعر في البيتين ففي البيت الأول وصف حاله حين تذكر أحبته وأيام صباه في العراق وعبر لهم عن اشتياقه، وهنا ربما لم يتذكر من أحبهن من النساء حسب، بل أراد أغلب من تعايش معهم أيام الصغر والانتعاش في تلك الديار، وفي البيت الثاني وصف الازدهار والرقي الذي وصلت إليه تلك الأيام، فالمرابع تزهو بغزلان جميلة، وصغارها تلعب وتلهو.

ففي موشحة لمزيد استعمل فيها الهمزة للتمني بعودة أيامه في مدينة الجامعين، بقوله[١]: (البسيط)

ثُرى أترجــعُ أيامي وطيبتـــها بالجامعيـــــن وتلقى النفس خلَّتها

أقول في بلدٍ غنّت حمامتـــها كذا حمامةُ وادي الكهفِ شيمـــــتُها

رجعُ الهَدِيلِ ورَشْحُ الأَدمُعِ الزرب[٢]

فالحسرة والألم من الفراق وشدته تجدها في أغلب نصوصه الشعرية بارزة تنم عن وجع يحمله هذا الرجل ولاسيما ارتباطه بنبرات الحزن التي تحملها الحمائم في صوتها الحزين، يضاف لها ما يظهر عليه من دموع ساكبة، وأنين لا يتوقف. وعلى المنوال ذاته في إظهار حسرته ولوعته قال في الجامعين[٣]:

(الطويل)

فيا دهرُ هل بعد التفرقِ رجعـــــةٌ فيهتف بي للوصل يا دهر هاتـــفُ

وتسعدُنِي بالقرب بين أحبتـــــي وتجمعني بالجامعيـــنِ معـــارفُ

ويبدو أنَّ لهذا الرجل حكاية طويلة مع النداء المجازي، وأداة الاستفهام "هل" التي برزت بشعره بشكل لافت للنظر معبراً فيها عمّا يعانيه من فراق مدينته الحلة، فكل شيء في الحياة يتمنى لو الدهر عاد به ليعيشه هناك.

وقال مزيد بشط الفرات[٤]: (الخفيف)

من بشط الفرات هل يسعد الدهـر على البين أو يعيـــــن القضاء

ويعودُ الشمل الشتيتُ كما كـــان وتنأى الهموم والبُرحـــــــــاء[٥]

وقال في شط الفرات [٦]: (أحذ الكامل)

هذا هو العذبُ الفراتُ وما يتجرعون فإنَّهُ المُهْلُ[٧]

أشار إشارة خفية لشط الفرات الذي تعلق به لأنه يقسم الجامعين إلى نصفين، وربط ذلك بحبه لآل البيت.

وجعل طعمه كالمهل الشراب غير السائغ الذي يسقيه ربُّ العزة والجلالة لقوم لايرتضيهم مجسداً قوله تعالى ((وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا))[٨].

ومن ذكريات مزيد في مدينته الحلة وما يجاورها هو وصفه لنهري دجلة والفرات، بقوله [٩]: (الكامل)

مَنْ لِيْ بِذَلِكَ وَالفُراتَ ودِجْلَةَ وَمَهَامُه دُونَ المَزارِ وَبِيْدُ

فالرجل يحنُّ لأي ذكرى تربطه بصباه وأيام الدلال حينما كان يتردد على دجلة والفرات، ويمارس طقوسه وشعائره الدينية بالقرب من المزارات التي يقدسها.

وقد تعددت الأسماء لمدينة الحلة فذكر منها مزيد، الجامعين، وهنا جاء ذكر اسمها بالحلة الفيحاء، بقوله[١٠]:

---

(١)الديوان: ١٢٥.
(٢)مسيل الماء. ينظر: معجم متن اللغة - أحمد رضا: (٣/ ٢٤).
(٣)الديوان: ٧٢.
(٤)الديوان: ٨٢.
(٥)البُرَحاءُ: الشِّدَّة وَالْمَشَقَّةُ. ينظر: لسان العرب (٢/ ٤١٠).
(٦) الديوان: ٨٦.
(٧)المُهْلُ: القَيْحُ والصَديدُ. ينظر: الصحاح(مهل): (٥/ ١٨٢٢).
(٨)الكهف: ٢٩.
(٩)الديوان: ٩٥.
(١٠)الديوان: ٦٢.

(الطويل)

مِن الحِلَّةِ الفيحاءِ حَتى تَرَكْتُها وَبَغدادُ خَلْفِيْ لَمْ أطأها بِمَنْسَمِ

فقد ذكر مدينة الحلة ووصفها بالفيحاء ويبين قصة مسيرته منها إلى مدينة مصياف في الشام ذاكرا المدن التي مرَّ بها سنوضح ذلك في موضع آخر حين نقف لتحليل الأبيات الخاصة بذلك.

وقال في موشحة له ذاكرا اسم مدينته الحلة، بقوله[١]: (الطويل)

ورحلتْ عيسي للنوى ونهلتهـــــا وحيـــن دعا داعي الثرى لي دعيتها

ولمَّا دنا التعريش منها فركـــتهـا من الحلة الفيحاء حتى تركتـــــها

وبغداد خلفي لا أطأها بمنســـم

قال محقق الديوان عن هذه القصيدة "وردت في الكتب المخطوطة مشطرة؛ وأرجح أنَّ التشطير لشاعر آخر غير مزيد.. لهذا كانت الأخطاء كثيرة، والقوافي مضطربة وغير موزونة "[٢].

وذكر مزيد للحلة اسما أو وصفا انفرد به عن غيره، فقد سماها بذات النخيل، بقوله[٣]: (الكامل)

يَاْ سَاْكِنِيْ ذَاتَ النَّخِيْلِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَالمَحْمُودُ عَقِبَ الصَّابِرِ

فالشاعر يشكو همه وحزنه وألمه الذي أصابه بسبب فراقه لمدينته الحلة التي وصفها بذات النخيل، وهذا إن دل على شيء إنما يدلُّ على كثافة أشجار النخيل في مدينة الحلة منذ أزمان بعيدة ولا زال إلى يومنا هذا.

واستمر في ذكره لمدينته باسمها الجامعين، بقوله[٤]:

(الطويل)

فيَا رَاقِبًا جِزْتَ العِـــــرَاقَ مُقَابِلاً تَعُوجُ عَلَى عَوْجَـــــاءِ فَاتِحِ بَادِنِ[٥]

وَذِي ذِروة بالجامـــــعينِ وذِي حِجًا عَلَى ذَات نَخْـــلٍ مِنْ ذَوَافِرِ سَاكِنِ

وجاء ذكر ذات نخل في هذين البيتين داعما ومسانداً لما قال في أبيات سابقة.

ومزيد يشكو فراقه لمدينته الذتي بَعُدَ عنها مُطلِقا عليها تسمية بابل هنا، وهي الاسم القديم لهذه المدينة من عهود سحيقة، بقوله[٦]: (الكامل)

أتعـــود أيامـــي بزورةِ بابلٍ هيـــهات أيام مضـــــــت أتعودُ

والحلة الفيـــــحاء فيها طينتي دارٌ بها أهـــــــل الندى والجودُ

أيام أســـحب في رياض وصالها برد الشـــــباب الغضَّ وهو جديدُ

نعماً لها دار يعـــــمُّ بها الحيا تأوي مرابـــــــــعها ظبيً وأسودُ

ويدي الكريمة لم تزل مغلولـــة فيها وطيب العيـــــش وهو رغيدُ

أصـــــفي لها ودي فيهلك بيننا كمداً عدوٌ شامـــــــــتٌ وحسودُ

هذه الأبيات تحمل في طياتها نفس الشاعر الذي جرى في أغلب قصائده مستعملاً أسلوب الاستفهام ولاسيما بالهمزة ؛منوها عما أصابه من ألم وحسرة على فراق مدينته وأهلها الطيبين، مستعملاً اسمها القديم–بابل– الذي ذُكر كثيرا في الشعر العربي؛ وقد ذكرها

(١)الديوان: 135.
(٢)الديوان: 131.
(٣) الديوان: ٩٢.
(٤) الديوان: ١٢٢.
(٥) بادن: ضخم.لسان العرب (بدن).
(٦)الديوان: ٩٥.

القرآن الكريم بقوله تعالى: ((وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ))[١]، وأكد الشاعر على تسميتها بالحلة الفيحاء وأنَّ طينته فيها مستمداً ذلك من قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى))[٢]، ذاكراً صفات أهلها في الجود والكرم، وكذلك أيام صباه التي قضاها هناك، وختم حديثه عنها بأنه يبقى وفيا لها مهما أبعده الزمن عنها، ودعا على الشامت والحسود أن يموتا بكمدهما.

المبحث الثالث: أثر المدن الأخرى في شعره:

لعل ارتباط الإنسان بالأرض والوطن وإحساسه بأنَّه جزء من البيئة التي ولد فيها وعاش حياته في كنفها وأفيائها، كان له كبير الأثر في نزوع الشعراء إلى نظم أشعار المدن التي تمثل أوطانهم أولاً؛ ومن ثمَّ تثير اهتمامه مدن أخرى.فالشاعر مزيد الحلي وقف وتأمل كثيرا بمدينته"الحلة" كما مرَّ معنا في المبحث السابق فقد وقف أمامها متأملاً شواخصها وتاريخها العريق، بوصفها سِفْرا من أهم أسفار التأريخ العربي الإسلامي، لما هي عليه من البهاء والتألق والعطاء. لذلك كله كان الحلي يحبُّ مدينته حباً طبيعياً، فهو يعيش في ظل أكنافها ينهل من علمها، لذا تعددت اتجاهاته في التعبير عن حبه وارتباطه بها إذ ترجم هذا الحب بقصائد ومقطوعات شعرية أبرزت أثَر هذه المدينة في نفسه، فهو يتغزل بها وبربوعها الخلابة يحنُّ إليها ويأسره الشوق عندما يتغرب عنها، ويتوجع عليها ويبكيها ألماً إذا ما فقدها وهذا ما كان بارزاً في أغلب قصائده المتأخرة، وهو في كل ذلك قد أرّخ وكتب وعبّر عن أرقى الإحساسات الإنسانية الشاعرة إزاء المدينة التي شكلت أحد ابرز ملامح شخصية شاعرنا.

يضاف إلى ذلك ما نقله من أثرٍ لمدن أخرى سواءً أكانت في العراق أم غيره، معبراً عن حبه أو ألمه بسبب ما آلت إليه الأمور التي حتمت عليه تركه لمدينته التي أطلق عليها أجمل التسميات التي سميت بها "الجامعين الحلة، ذات النخيل، بابل" لكن حبه لمدينته لم ينسه ما مرَّ به من مدن في أثناء رحلته الإجبارية، ومن تلك المدن التي ذكرها مزيد هي مدينة الموصل التي أطلق عليها تسميتها المشهورة بالحدباء، بقوله[٣]:

(الطويل)

وزحتُ عن الحدباءِ[٤] بغضاً بأهلها فقد جمعت أكنافها كل مـــــأزم

يبدو أنَّ لمزيد قصة مؤلمة مع هذه المدينة مما يجعله يبتعد عنها وينزاح ولا يمرُّ بها، إذْ ذمها وهجاها هجاءً مقذعاً نال منها ومن أهلها فقد أفصح شعره عن شيءٍ يضمره لها، ربما يحمل نفسا مخالفا لهواه الطائفي، أو قد يكون لم يلقَ ذلك الاهتمام من أهلها فأثار ذلك حفيظته الشعرية فنعتها بنعوت لا تليق بسمعة تلك المدينة وما اتصف به أهلها من حرص واهتمام بالضيف ولاسيما من القبائل العربية التي تقطن هذه المدينة.

ومن أهم ما كتب هذا الشاعر قصيدته التي سماها محقق الديوان بالرحلة وهي قصيدة طويلة تصل إلى(64) بيتا شعريا نظمت على البحر الطويل، وروي (الميم)، تحدث فيها عن مدن عدة مادحا بعضا منها وذاما الآخر، ونقل واقع الرحلة وما فيها من مآسٍ وآلام، فقد بدأها الشاعر بمقدمة ذم فيها الدنيا وحثَّ أهلها على العمل للآخرة، مضمناً أبياته أحكاما وألفاظا قرآنية واستمر في مقدمته إلى البيت (16) وحاول أن يحسن التخلص بقوله (دع الشك واعمل باليقين)، منتقلا لشيء جديد وهو عدم التمسك بالرأي وإطاعة ما قال غيرك ممن يراهم هو أنهم مصلحون، واعتقد هنا أنَّ الشاعر جافى الحقيقة وابتعد عن استعمال عقله وتمسك بشيء يراه صحيحا ويرشد غيره للتمسك به، ثم انتقل إلى غرضه الرئيس وهو وصف رحلته النهائية التي أبعد فيها عن مدينة الحلة عنوة بأبيات وصل عددها إلى (31) بيت، تحدث فيها عن كل مدينة مرَّ بها في طريقه. وسنسردها فيما يأتي، إذْ بدأ أبياته ببيت حكمة، بقوله[٥]:

(١)البقرة: ١٠٢.
(٢)الأنعام: ٢.
(٣) الديوان: ٦٢.
(٤) تأنيث الأحدب: اسم لمدينة الموصل، سميت بذلك لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٧).
(٥) الديوان: ٦٢- ٦٣

(الطويل)

وأصبحـــتُ فتاش الحقوق وأهلها ومن يك فتاشاً عن الحق يَغنم

في صدر البيت تحدث عن حقوق فتش عنها طويلا، ثم جاء العجز ليتحدث عن حكمة مستقرة في الأذهان وهي " ما ضاع حقٌ وراءه مطالب"، وعلل ذلك التصرف انه استجابة لما يريد داعي الله بقوله [١]:

مجيباً لداعي اللّه في القرب والنوى أجوبُ الفيافي مَعْلَماً بعد مَعْلَمِ

حيث أكد أنَّ رحلته تلك جاءت استجابة لما يريد داعي الله، وبسببها قطع المفاوز والصحاري وكذلك الحاضرة معددا إيّاها أثرا بعد أثر، ومن ثمَّ بدأت الرحلة من مدينة الحلة بقوله[٢]:

من الحِلَّةِ الفيـــحاء حتى تركتها وبغـــــداد خلفي لم أطأها بمنسم[٣]

وجئتُ أواناً ثم وافيـــت أختها صريفـــــين واخترتُ القليب مُخيَّم[٤]

يبدو أن الشاعر سجل مفردات رحلته بشكل دقيق ومفصل فحين ترك مدينة الحلة متوجهاً إلى مدينة مصياف لم يدع شيئا لاحظه إلا ثبته في شعره ففي هذين البيتين وحينما غادر الحلة لم يكن طريقه على بغداد بل جعلها خلفه وتوجه بطريق خارجها، ليسلك الطريق المؤدي إلى مدينة سامراء وصولا إلى تل أعفر، بقوله [٥]:

ووافيت سامرَّا وتكريـــت بعدها وقلت لروحـــــــي بالقليعةِ رِنّم[٦]

وجاوزتُ نخلاً بالبوازيج شمـــخاً أجوبُ فِجاج الأرض جوب المصمـم[٧]

وزحتُ عن الحدباءِ بغضاً بأهلـها فقد جَمَعَتْ أكنافـــــــها كل مأزم

ولم يكُ لِي في تل أعفر مـــــنزلاً فدينهـــم دين اللعيـــن ابن ملجم[٨]

ولم ألقَ في سنـــجار من يلتقي به سوى دلو بئرٍ نازلٍ قعـــــر مظلم[٩]

فحين سلك الطريق الخارجي المار بسامراء ووصولا إلى تكريت فقد أخذ وقتا من الراحة في القليعة، واستمر في اليوم الآخر لينطلق من مدينة البوازيج، ويقطع الصحراء طولا وعرضا، وتحدثنا سابقا عن ابتعاده عن مدينة الموصل، وأيضا لم يكن له في تل أعفر استقرار ومبيت لأنه يبغض أهلها كون دينهم دين عبد الرحمن بن ملجم أي على طريقة الخوارج الذين حاربوا الإمام على (ع) في معركة النهروان، وأيضا ذم مدينة سنجار لأنه لم تناسب هواه المذهبي. وحين انتقل إلى أرض الشام أو سوريا حاليا، قال في مدنها[١٠]:

وســـــرتُ حثيثاً من دنيسر بعدما جعلـــــتُ إليها من نصيبين مقدمي[١١]

ولما انتهى للرّقة الســـير لاح لي من اللّه نور ساطـــــــع غير مظلم[١٢]

ولما قطعنا جســـــر بالس عرَّجت صدور ركابي نحـــــوها غير محجم[١٣]

وسارت بنا تطوي الفـــجاج وجاوزت لشط الفرات في كل حـــــزمٍ مصمَّم

(١)الديوان: ٦٢- ٦٣

(٢)الديوان: ٦٢- ٦٣

(٣) منسم: تعبير مجازي عن القدم.وهو: خف البعير. الصحاح (نسم).

(٤)الصريفين، والقليب - موضعان في العراق. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠٣).

(٥) الديوان: ٦٢-٦٣.

(٦)القُلَيْعَةُ: بلفظ تصغير القلعة: موضع في طرف الحجاز على ثلاثة أميال من الغضاض. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٩٦).

(٧)البَوازِيجُ: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصبّ في دجلة، ويقال لها بوازيج الملك.ينظر: معجم البلدان (١/ ٥٠٣).

(٨) تل أعفر: اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٣٩).

(٩)سِنْجَارُ: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٦٢).

(١٠) الديوان: ٦٢-٦٣.

(١١)دُنَيْسِرُ: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار.ينظر: معجم البلدان (٢/ ٤٧٨). نَصِيبِين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(١٢)الرقة: مدينة مشهورة على الفرات في الشام.ينظر: معجم البلدان (٣/ ٥٩).

(١٣)بالِسُ: بلدة بالشام بين حلب والرّقة.ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٢٨).

هُـــــطلنا بوادي المنحوان بليلنا من المـــــزن كل في أواخر مرزم[١]
ولمَّا أتينا الشيـــح والليل قد بَدتْ عســـــاكره في كل أسود مُقتم[٢]
نزلنا وقد وافى الكـــرى دير حافرٍ وســـــرنا وأرباب السُرى غير نوَّم[٣]
نجوبُ الفلا ما بيـــن أشعث أغبر يحـــــنُّ إلى الهادي وأجرد أدهم
ولمَّا وصـــــلنا ماء كاسر لم يكن لنا معـــدل عن روضها المتبسِم[٤]
نزلنا بها ثم انثنيـــــــنا بركبنا إلى حلـــــب والليل ليس بمعتمِ
ولما تجشمـــــــنا قويق بغدوةٍ تزايد بي شـــــوق المحب المتيم[٥]
وبتنا بأكناف القناطـــــر بعدما قطعـــــنا قرياتٍ بعزم مُصمم[٦]
وجئنا إلى سرميـــن والغيث هاطلٌ على كل ســبط الراحتين غشمشم[٧]
وجزنا بها نحو المعـــرة وانتحى بنا شجـــر الزيتون في كل جرثم[٨]
إلى أن وصلنا كفر طاب عشـــيَّةً وقادح أرباب الثـــرى كل مضرم[٩]
ولما وصـــلنا أرض شيـــزر صدَّنا مسيلٌ من العاصـــــي شديد التهجم[١٠]
فرحـــــنا بعون اللّه نقطع موجه كما فعلـــــت في الترب كف المنجم
وسرنا إلى مصـــياف سعياً كما سعى إلى البيت قـــــوم من قريشٍ وجرهم[١١]

ومن المدن التي ذكرها في الشام هي (نصيبين، دنيسر، والرقة) ثم له قصة مع مدينة بالس ولاسيما جسرها وبعد أن عبر شط الفرات عن طريق ذلك الجسر، بدأت الأمطار بالهطول بعد رياح باردة وقد كان المطر متواصلا كثيفا، ومن ثم وصل إلى مدينة (الشيح)، ولا أدري لماذا وصف عساكرها أو جوها العام بالأسود والمقتم، هل هو حقد منه على من يسكنها لموقف خاص به، أم لسبب آخر؟واستمر بشرح قصة مسيره فحينما أصابه النعاس وكان بالقرب من (دير حافر) استراح هناك لبعض الوقت، ومن ثَمَّ خرج منها ليلاً حينما غطت الناس في نوم عميق، ولعدم معرفة في الأرض التي يسير فيها بدأ يترنح يمينا وشمالاً ووصف راحلته فقال (أجرد أدهم)، وأيضا ذكر (ماء كاسر)، وبعدها وصل المدينة الشهيرة (حلب) بعد أن انكشف ضوء النهار ثم استراح ليلة أخرى بعد أن قطع قرى ومفاوز كثيرة، يبدو أن المطر مستمر والوقت شتاء ففي مدينة (سرمين) الذي ذكرها نال بعض الراحة، ثم ذكر مدينة (المعرة، وكفر طاب، وشيزر، ونهر العاصي) وحين وصل مدينة شيزر، منعه من العبور نهر العاصي بأمواجه المتلاطمة وسيله الشديد الجارف، لكنه لم يمنعه من مواصلة مسيره بل عبره سباحة مشبها حاله بكفِّ المنجم الذي يعبث بالأتربة طولا وعرضا من أجل تحقيق مبتغاه، إلى أن وصل إلى مدينة (مصياف) التي استقر فيها إلى أن توفي هناك.

(١) وادٍ في الشام لم أتوصل لمعلومة عنه.مِرْزَمٍ: الريحُ الشَّمَالُ الباردةُ. ينظر: المخصص: بن سيده: (٢/ ٤١٦).
(٢)وذو الشيح: موضع بالجزيرة.ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٧٩).
(٣)حَافِرٌ: قرية بين بالس وحلب، ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٠٧).
(٤) يبدو أنه عين ماء ولم أتوصل إلى معلومة عنه.
(٥)نهر قويق: نهر حلب ينبعث من قرية تدعى سنياب.ينظر: المسالك والممالك-عبد الله البكري الأندلسي: (١/ ٢٣٧).
(٦) وادي القناطر: هو واد على شاطئ الفرات بين الرقة وبغداد.ينظر: معجم البلدان (٢/ ٥٣٢).
(٧)سَرْمِينُ: بلدة مشهورة من أعمال حلب، قيل: إنها سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم التي يضرب بقاضيها المثل، وأهلها اليوم إسماعيليّة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢١٥).
(٨) المعرة: وهي بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ.ينظر: معجم البلدان (٥/ ١٥٥).، جُرْثُمُ: ماء لبني أسد بين القنان وترمس.ينظر: معجم البلدان (٢/ ١١٩).
(٩) مدينة كفر طاب، والإطميم وهي مدينة قديمة وأهلها قوم من يمن وسائر البطون وأكثرهم كندة. ينظر: البلدان: اليعقوبي (: ١٦٢.
(١٠)شَيْزَر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعدّ في كورة حمص وهي قديمة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٨٣). نهر العاصي: هو نهر يتجمع من مياه بحيرة "قدس"، وتقع عليه مدينة وشيزر. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٥٢).
(١١)مِصْياب: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. ينظر: معجم البلدان: (٥/ ١٤٤).

وفي موشح، يذكر فيه نهر الفرات وجسر مدينة بالس، بقوله[١]: (الطويل)

ولمَّا تيمَّنا الفرات تحرجـــــت حثيثاً إلى أوطانها فتدرجـــــت
نسيماً كنثر الدر فيه تأرجـــــت ولمَّا قطعنا جسر بالس[٢] عرَّجت
صدور ركابي نحوها غير محجم

فجسر مدينة بالس ترك أثراً في حياة هذا الشاعر، إذ تكرر ذكره، ويبدو أنَّ وقعه كبيرٌ في ما طرأ من متغيرات حياتية لهذا الشاعر.

وجاء اسم مدينة يثرب في شعر مزيد مازجاً ذكرها بذكر المدائن، بقوله[٣]: (الكامل)

من يثرب جاء المـــدائن وانثنى من غير شـــك والأنامُ رقود

ولم يخل شعر مزيد من ذكر الأودية، إذ ذكر وادي الغضا، بقوله [٤]:

(الطويل)

سرى الركب فازدادوا على همهم همَّا بوادي الغضا[٥] عـــمَّا تساءلهم عمَّا
عن الجبل الفـــرد الذي شاع ذكره فمهما يســـيروا لم يروا ذلك المهما

وهنا أشار إلى الجبل الفرد بالإضافة لذكره الوادي ويبدو أنه كنى عن الإمام الذي يعتقد به أنه قائم ومنقذ للبشرية.وقال في الأودية أيضا[٦]:

(السريع)

يا سعـــدُ إن جاوزت وادي الأراك[٧] فأنشـــــد فؤاداً ضاع مني هناك
وقل لغـــــزلان النقى سائلاً هـــــل لأسير الحب منهم فكاك
وإن ترى ركـــــباً بوادي الحمى فأنشدهم عـــــني ومن لي بذاك
فقد سروا واستصحبوا ناظـــــري واليوم يهفو ناظـــــري كي يراك

من خلال حديث الشاعر عن تفاصيل رحلته ذكر الأودية ومنها " ألأراك" و"الحمى" مستعملاً أساليب بلاغية منها النداء، والأمر، الاستفهام موضحاً فكرته التي يريد توصيلها للمتلقي ومنهجه الفقهي الديني فضلاً عن عشقه وشوقه لوطنه الذي بات بعيد المنال، وابعد عنه قسراً.

و مزيد تحدث عن الجبل مجازا وحقيقة، ومنه قوله[٨]: (الكامل)

جبـــلٌ بأكـــناف الشام بناؤه نحو العـــراق يجيب بالإذعان
تجري ينابيـــع العلوم بهضبةٍ عذباً فيـــروي غلَّة الظمآن

وهنا استعار اسم الجبل لمن يعتقد أنه منقذه من الأخطاء الدنيوية.

وقال مزيد في الجبل أيضا[٩]: (الكامل)

حييت مـــن جبل تبوأ للعلـــى والعزّ يرتـــــع في رباك الزاهر

(١)الديوان: ١٣٧.
(٢) مدينة في الشام.
(٣) الديوان: ٩٨.
(٤)الديوان: ٩٠.
(٥)الغضا: واد بنجد، وأيضا يطلق على كل وادٍ يحوي شجر من شجر البادية يشبه الأثل إلا أنه لا يعظم عظمة الأثل، وهو من أجود الوقود وأبقاه نارا. ينظر: معجم البلدان: (٤/ ٢٠٥).
(٦)الديوان: ٧٨.
(٧)وادي الأراك، قرب مكة، يتصل بغيقة. ينظر: معجم البلدان (١/ ١٣٥).
(٨) الديوان: ٨١.
(٩) الديوان: ٩٢.

حمل الشام تشـــــوقٌ وتلهُفٌ جبل يروق ســـــواد عين الناظر

يبدو أن أثر أرض الشام الجبلية جعلت من الشاعر يستعير تلك الألفاظ لمن يراهم رموزا شامخة، ويرتبط بهم بشكل شخصي ويمنحهم العلو والرفعة التي ترسخت في ذهنه.

وقال في جبل الجودي[١]: (البسيط)

أفديـــك يا سائلي بالسمع والبصر واسمـــع كلامي عســـى نلقاك بالظفر

ما كان طوفانه مـــــاءً بلا مـطر ولم يكن جبل الجودي[٢] من حجـــــر

كلاً ولا نار إبراهيـــــم من لهب

فالرمز بالشوامخ واضحاً لدى مزيد، وهنا جاء ذكر جبل الجودي الذي ارتبطت قصته بقصة النبي نوح(ع) التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[٣]

وقال في ذكر الجبل مجازاً [٤]: (الطويل)

يعمّر ربـــعاً كان بالأمس قد عـفا بمـــدح أناسٍ ليس في مدحهم كفا

هم جبل الإيمان والصـــدق والوفا هم العـــروة الوثقى هم الركن والصفا

هم الحج والمســـعى هم بئرُ زمزم

واضح أسلوب أجزاء الموشحة التي أكثرت في مدح آل بيت أو من ينتسب إليهم شاعرنا وهو المذهب الاسماعيلي، وجعلهم كالجبل في شموخه وعلوه. أما ذكره للدول والأقاليم فقد جاء ذكر العراق والشام، بقوله[٥]: (الكامل)

بعـــث الشام إلى العراق رسالةً فأتى الجـــواب مع الجنوب الثائر

حييت من جبـــــل تبوأ للعلى والعزّ يرتـــــــع في رباك الزاهر

فالشاعر حدد المكان الأول الذي هو العراق والمكان الجديد الذي هو الشام، وشخصهما وأرسل مشاعره الجياشة التي طرأت عليه بسبب البعد القسري ومعطيا لرموزه الدينية شموخ الجبال. وتحدث عن مصر مازجا ذكرها ببغداد، بقوله[٦]: (الكامل)

يتلو بـــــه التالي فتخرس ألسنُ العلمـــــاء من مصر إلى بغدان

هذا نهاية علم من هو عالـــم وبيان صحـــــبة من أتى ببيان

الشاعر يتهجم على من يتكلم على علماء من مصر إلى بغداد لأنهم لا يوافقون ما يراه هو بمن يتبعهم فقهيا. وبهذا نصل إلى نهاية بحثنا ونختمه بالنتائج.

(١) الديوان: ١٢٧.
(٢)الجودي: جبل بناحية الموصل إستوى علية فلك نوح " ع ". ينظر: الجبال والأمكنة والمياه –الزمخشري م: ٩٠.
(٣) هود: ٤٤.
(٤)الديوان: ١٣٢.
(٥)الديوان: ٩٢.
(٦)الديوان: ٨١.

الخاتمة:

وبعدَ أنْ وصلَ البحثُ إلى نهايتِهِ بمؤازرة الله ورعايتِهِ، لابُدَّ له من أن يختتم بذكر أهم النتائج التي توصل إليها، وهي:

1- تبين من خلال سيرة الشاعر مزيد الحلي أنَّه أمير من أمراء الدولة المزيدية التي قامت في القرن الرابع الهجري واندثرت وطوي عصرها في القرن السابع الهجري.

2- ويبدو أن الشاعر أخذ حذره من تلاعب المتلاعبين فثبت معلومات تخص اسمه وبعض خصوصياته في شعره مازجا ذكر اسمه بحب آل بيت الرسول (ص).

3- توصل الباحث من خلال البحث لمعرفة علاقة الشاعر بشخص يقال له سنان راشد الدين كان يعد الإمام والمثال والقدوة لشاعرنا في كل سلوكياته.

4- ومما جاء مختلفا عند مزيد في صوره الفنية حين استعماله للتشبيه بأنه شبه حاجبي حبيبته بحرف نون مقلوب، واعتقد أنه تشبيه انفرد به.

5- كل شاعر لديه موضوعات لشعره تحمل صورة لتوجهاته الشخصية ومما توصلنا حول موضوعات شعر مزيد تعلقه بآل بيت الرسول (ص) ولاسيما المذهب الاسماعيلي يمدحهم ويفتخر فيهم مجسدا كل قدرته لخدمتهم.

6- لم يغب أثر القرآن الكريم في شعر مزيد الحلي واتضح ذلك من خلال تضمينه ألفاظا قرآنية " التين، الزيتون، البلد".

7- برزت بشكل ملفت للنظر مقدمات قصائده، فقد أعاد المقدمات الجاهلية كالطللية، والغزلية، والظعن والطيف، وأضاف مقدمة جديدة ممكن أن نسميها مقدمة الرياح والمطر، تحدثنا عنها ضمناً.

8- ومن الغريب أن يبرز غرض قديم جديد لدى شاعر اهتمامه ديني مذهبي وألا هو غرض الخمريات الذي نشأ في العصر الجاهلي وتطور على يد أبي نواس، لكن شاعرنا اهتم به كثيرا وأفرد لذلك قصيدة سماها محقق الديوان" هي الشمس".

9- أسهب في ذكر مدينة الحلة وذكرها بأسمائها كالحلة الفيحاء، أو السيفية، أو المزيدية، أو بابل،، أو الجامعين الذي أخذ حيزا كبيراً من أشعاره فقد جاء ذكرها بهذا الاسم (5) مرات.

10- ويبدو أن مزيد متأثر كثيرا بالشعراء الجاهلين فأغلب شعره سائر على نهجهم، ولاسيما في وصف رحلته من الحلة إلى مدينة مصياف، فقد ثبت في شعره كل مدينة مرَّ بها كـ(الحلة الفيحاء، صريفين، القليب، سامراء، تكريت، القليعة، البوازيج)، وإن لم يمرّ بها يذكرها ويعطي لذلك مسوغاً كـ(بغداد، الحدباء، تل أعفر) تلك المدن كانت في العراق، أما في الشام(دنيسر، نصيبين، الرقة، بالس، حلب، وقويق، القناطر، سرمين، المعرة، جرثم، كفر طاب، شيزر) وذكر أودية (المنحوان، الغضا، الأراك، الحمى)، والأديرة (دير حافر)، وذكر الجبال منها على سبيل الحقيقة كـ(الجودي) وأحيانا يذكر الجبل كرمز للشموخ الذي رسمه للمتصدين لعقيدته.

11- أما فيما يخص التوصيات فأعتقد أنَّ دراسة شعر مزيد في كل جانب تطلعنا على انتشار المذهب الاسماعيلي في العراق آنذاك، واستعماله الفنون الأدبية المختلفة بصياغة رقيقة وجميلة.

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

١- الأعلام: الزركلي(ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢- بغية الطلب في تاريخ حلب: ابن العديم (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، د.ت.

٣- البلدان: اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤- الجبال والأمكنة والمياه –الزمخشري(ت٥٣٨ هـ)تحقيق: د/ أحمد عبد التواب عوض المدرس بجامعة عين شمس، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥- ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق – إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٦م.

٦- ديوان مزيد الحلي الأسدي، تحقيق–د.عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٧- سير أعلام النبلاء: ابن قَايْماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٨- الشعر والشعراء – بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ج.م.ع، ١٩٨٠، د.ط.

٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم– ابن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري(ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

١١- العين: الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٢- لسان العرب: ابن منظور(ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٣- المخصص: بن سيده(ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٤- المدح في الشعر الجاهلي رؤية جديدة – د.السعيد حامد شوارب، مج أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافي، الجيزة – مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٥- المسالك والممالك–عبد الله البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

١٦- معجم البلدان: الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

١٧- معجم متن اللغة – أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٥٩م.

١٨- معجم مقاييس اللغة– ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

١٩- الملل والنحل: الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. ط٢، ١٩٧٥م.

٢٠- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي– د.حسين عطوان، دار المعارف – مصر، د.ط، ١٩٧٠م.

٢١- المنازل والديار: أسامة بن منقذ(ت ٥٨٤ هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، الطابعة: دار أخبار اليوم، الناشر: دار الصباح – القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

٢٢- الوافي بالوفيات–الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ ٢٠٠٠م.